حروف حرّة

مجلّة شهرية تصدر عن جمعية تونس الفتاة

العدد الرابع، جوان 2021

في أقصى التطرّف...
ما علاقة التونسيين بالتيّار الحازمي في داعش؟

طقوس الاستمطار بشمال إفريقيا:
أمك طنبو، أسطورة أنزار، أسطورة تاغونجا

السيستام والمعارك الجانبية

فرص التعلم والتدريب للتطور المهني

حينما يكشف الشعر عن فظائع الحروب:
قصيدة "في حقول الفلاندرز" لجون ماكراي

"سيرة الطيّب ولد هنيّة":
سيرة ريف وجهه امرأة (الجزء الثاني)

بيني لاين... شعرية اليومي لدى البيتلز

جمعية تونس الفتاة

تقرؤون في هذا العدد:

في أقصى التطرّف... ما علاقة التونسيين بالتيّار الحازمي في داعش؟ ص. 4-5
أنيس عكروتي

السيستام والمعارك الجانبية ص. 6-7
حمزة عمر

حينما يكشف الشعر عن فظائع الحروب: قصيدة "في حقول الفلاندرز" لجون ماكراي ص. 8-9
فهمي رمضاني

طقوس الاستمطار بشمال إفريقيا: أمك طنبو، أسطورة أنزار، أسطورة تاغونجا ص. 10-12
أكرم بن عمارة

"سيرة الطيّب ولد هنيّة": سيرة ريف وجهه امرأة (الجزء الثاني) ص. 13
خلود الخمّاسي

بيني لاين... شعرية اليومي لدى البيتلز ص. 14
حمزة عمر

فرص التعلّم والتدريب للتطوّر المهني ص. 15
خلود الخمّاسي

حروف حرّة

مجلّة شهرية تصدر عن
جمعية تونس الفتاة

تأسّست في مارس 2021

رئيس التحرير
حمزة عمر

فريق التحرير
أنيس عكروتي
خولة القاسمي
فهمي رمضاني
هشام الزعبي

التصميم
حمزة عمر

مصدر صورة الغلاف
https://g.cz/

للتواصل معنا
redaction@tounesaf.org

دعوة إلى المشاركة في الجامعة الصيفية 2021: المواطنة والهويّة في تونس بعد الثورة

تنظّم جمعية تونس الفتاة ومؤسسة كونراد أديناور الدورة الثانية من الجامعة الصيفية تحت عنوان "المواطنة والهويّة في تونس بعد الثورة" وذلك من 19 إلى 22 أوت 2021 بالحمّامات.

السياق

اختار المجلس الوطني التأسيسي أن يحافظ في دستور 27 جانفي 2014 على نفس صياغة الفصل الأوّل كما وردت في دستور 1 جوان 1959: " تونس دولة حرّة، مستقلّة، ذات سيادة، الإسلام دينها، والعربية لغتها، والجمهورية نظامها."

رغم حصول توافق واسع في خصوص هذه الصياغة، إلّا أنّها لم تحلّ مختلف الإشكاليات المتعلّقة بعلاقة الدولة بعُنصري الهويّة المذكورين في هذا الفصل، وهما الدّين واللغة.

- لطالما اعتبرت عبارة "الإسلام دينها" حمّالة أوجه. إذ اعتبرها البعض مجرّد وصف لحقيقة اجتماعية (تتمثّل في كون الإسلام دين الأغلبية الساحقة من التونسيين) دون أثر قانوني فعلي. وقد تعتبر شرطا من شروط ممارسة بعض الوظائف العليا، مثل رئاسة الجمهوريّة، وقد تعتبر إلزاما للدولة بالإشراف على المساجد والعناية بها وتوفير كلّ الضمانات اللازمة لكي يمارس المسلمون شعائرهم في أحسن الظروف. وفي غياب فصل بين الإسلام والشريعة، يمكن أن تعني أنّ الشريعة الإسلاميّة تعلو جميع القواعد القانونيّة الأخرى. تظلّ مختلف التأويلات ممكنة، حتّى في ظلّ التنصيص على مدنية الدولة في الفصل الثاني، ممّا يدفعنا إلى التساؤل عن وضعيّة من يدينون بديانات أخرى أو من لا يدينون بدين في تونس اليوم، لا سيّما وأنّ الفصل السادس من الدستور، ولئن نصّ على حريّة الضمير، فإنّه قرنها بواجب الدولة في حماية المقدّسات.
- يمكن أن نفترض من عبارة "العربية لغتها" أنّ اللغة العربية هي اللغة الوحيدة الّتي تستعملها الدولة في جميع معاملاتها الرسميّة. ولئن كانت الإدارة التونسيّة قد قطعت خطوات نحو التعريب منذ سنوات الاستقلال الأولى، فإنّ اللغة الفرنسية لا تزال مستعملة بشكل كبير خصوصا في المجالات التقنية. وإذا كان الفصل 39 من الدستور ينصّ على أنّ الدولة " تعمل على تأصيل الناشئة في هويتها العربية الإسلامية وانتمائها الوطني وعلى ترسيخ اللغة العربية ودعمها وتعميم استخدامها والانفتاح على اللغات الأجنبية والحضارات الإنسانية ونشر ثقافة حقوق الإنسان"، فإنّنا يصعب أن نتبيّن الحدود الفاصلة بين التأصيل والانفتاح، خصوصا أنّ جزءا كبيرا من التعليم، لا سيّما في المواد العلمية، يتمّ باللغة الفرنسية. يجعلنا ذلك نتساءل عن نصيب اللغات الأخرى من هذا الانفتاح. ورغم كونها اللغة الأمّ لعدد من التونسيين، لا نجد إشارة مباشرة إلى اللغة الأمازيغية في نصّ الدستور ممّا يفتح باب السؤال حول وضعيّتها الحالية وحول مستقبلها.

تقودنا مختلف هذه الإشكاليات إلى التساؤل عن معنى أن تكون مواطنا في تونس اليوم، خصوصا إذا كان الفرد منتميا إلى غير دين الأغلبية (الإسلام) ولغتها (العربية). يبدو أنّ تكريس مثل هذا الحقّ في الاختلاف يشهد صعوبات شتّى لها جذورها في الحضارة العربية الإسلامية، رغم ما يفتحه سياق العولمة من إمكانات.

الأهداف

تهدف الجامعة الصيفيّة إلى:

- تقديم تحاليل معمّقة للشبّان المشاركين حول العلاقة بين المواطنة والهويّة
- خلق فضاء للحوار الحرّ بين الشبّان المشاركين حول الإشكاليات المطروحة
- تعزيز قدرات الشبّان المشاركين على عرض أفكارهم حول الإشكاليات المطروحة
- تعزيز التشبيك بين الشبّان من مختلف ولايات الجمهورية

المشاركون

يشارك في الجامعة الصيفية 15 شابا تتراوح أعمارهم بين 18 و40 سنة وينتمون إلى الفئات التالية:

-الباحثون في اللغات والعلوم القانونية والسياسية والاجتماعية والإنسانية: يشترط فيهم أن يكونوا مرسّمين بمرحلة الماجستير أو الدكتوراه أو متحصّلين على إحدى هذين الشهادتين.

-الناشطون في المجتمع المدني: يشترط فيهم أن يكونوا أعضاء نشطين بإحدى الجمعيات منذ عامين على الأقل.

-الناشطون في الأحزاب السياسية: يشترط فيهم أن يكونوا أعضاء نشطين بأحد الأحزاب منذ عامين على الأقل.

-الإعلاميون: يشترط فيهم أن يكونوا من الصحفيين العاملين بإحدى المؤسسات الإعلامية منذ عام على الأقل.

-المبدعون: يشترط فيهم أن يكونوا من أصحاب (أو المساهمين في) عمل معروض للعموم (أو منشور).

يتكفّل المنظمون بمصاريف الأكل والإقامة طيلة أيام الجامعة الصيفية. ويقع تسليم شهادات مشاركة لمن يحضرون جميع أشغالها.

المنهجيّة

تشمل الجامعة الصيفية:

-محاضرات عامة يلقيها أكاديميون وخبراء حول الإشكاليات المتعلقة بالهوية والمواطنة مشفوعة بنقاش عام مع جميع المشاركين.

-عمل ورشات (مجموعات من 8-10 مشاركين) حول إشكاليات محدّدة في إطار الموضوع العام للجامعة الصيفية. تُقدّم خلال هذه الورشات عروض يعدّها المشاركون، ويتمّ نقاشها وتعميقها.

-تقديم تقارير المجموعات ونقاشها في جلسات عامة

كيفيّة المشاركة

الترشّح مفتوح لجميع من ينتمون إلى إحدى الفئات المبيّنة أعلاه عبر ملء الاستمارة الموجودة على الرابط التالي وذلك بحلول يوم **30جوان** على أقصى تقدير:

https://forms.gle/wk3mUiRy3pfYX6uj9

ينبغي لجميع المترشّحين تقديم ملخّص لمداخلة سيقومون بتقديمها خلال إحدى ورشات الجامعة الصيفية. عند قبول المترشّح(ة)، يجب عليه(ا) إرسال النصّ النهائي للمداخلة بحلول يوم **5أوت** على أقصى تقدير. سيتمّ نشر نصوص المداخلات في مجلّة "حروف حرّة."

سيتمّ تقييم المترشّحين بناء على سيرهم الذاتية، وبناء على الملخّصات الّتي سيقومون بتقديمها.

يتمّ الإعلان على قائمة المشاركين في أجل أقصاه 10 جويلية 2021.

في أقصى التطرّف...

ما علاقة التونسيين بالتيّار الحازمي في داعش؟

بقلم: **أنيس عكروتي**
عضو مؤسّس لجمعية تونس الفتاة
مهندس بيولوجي
باحث في شؤون الجماعات الجهادية
anis@tounesaf.org

> *الحازمي وأتباعه يقولون بعدم العذر بالجهل أي أنّ الشخص الذي يثبت أنّه قام بفعل شركيّ جهلا بأصول التوحيد ونواقض الإسلام لا يُعذر بجهله وتجب إدانته بالتكفير وما يتبع ذلك من عقاب*

تزامنا مع توسّع الرقعة الجغرافية للدولة الإسلامية خصوصا على مستوى محور سوريا – العراق أواسط العقد الثاني من القرن الحالي، عرف التنظيم الجهادي تصدّعا داخليّا نتيجة لخلافات ايديولوجية عميقة كادت أن تعصف بما تمّ إنجازه من نجاحات عسكريّة ميدانيّة، خلافات هدّدت حتّى بقاء التنظيم على قيد الحياة.

انقسم التنظيم إلى تيّارين رئيسيّين، تيّار أغلبي عُرِفَ بالـ "بنعليّين" نسبة إلى تركي البنعلي الّذي كان يتولّى خطّة القاضي الشرعي للتنظيم قبل مقتله في غارة أمريكية على مدينة الرقة في أواخر شهر ماي من سنة 2017، وتيّار أقلّي عُرِفَ بالحازميّين نسبة إلى عمر الحازمي وهو شيخ سعودي لم يثبت انضمامه لتنظيم الدولة الإسلامية بشكل رسمي ولكنّ حظوته لدى بعض عناصر وأنصار "دولة البغدادي" فاقت مكانة الخليفة ومعاونيه إلى أن وصل الأمر إلى حدّه الأقصى حين صدرت الفتاوى بتكفير البغدادي وكلّ قيادات التنظيم والعناصر التّي تبايعه.

دفع دويّ صفّارات الإنذار قيادة الدولة الإسلامية تتحرّك وتقوم بحملة تطهير واسعة ضدّ الحازميّين أو من وصفهم الجناح الإعلامي الرسمي (الهيئة المركزيّة للإعلام) بالغلاة والخوارج ووجهت لبعضهم اتهامات مباشرة بالتورط في تسهيل عملية اغتيال قيادات بارزة من بينهم قاضي التنظيم تركي البنعلي ونائب الخليفة أبو محمد العدناني.

جوهر الخلاف كان حول مسألة عقائدية وهي "العذر بالجهل"، فالحازمي وأتباعه يقولون بعدم العذر بالجهل أي أنّ الشخص الذي يثبت أنّه قام بفعل شركيّ جهلا بأصول التوحيد ونواقض الإسلام لا يُعذر بجهله وتجب إدانته بالتكفير وما يتبع ذلك من عقاب.

يذهب الحازمي إلى أبعد من ذلك، إذ أنّه يكفّر "العاذر بالجهل" أي ذلك الذي يعاين قولا أو فعلا شركيّا ولكنّه يلتمس العذر للفاعل نظرا لجهله بهذه المسائل الفقهية.

وبهذا أطلق الحازميّون بندقية التكفير المتسلسل على كلّ من خالفهم الرأي في هذه المسألة وصولا إلى الخليفة نفسه.

الملفت للانتباه في هذا الموضوع ليس التصدّع الذي عرفه التنظيم ولا تفاصيل الخلاف بين الفريقين المتخاصمين بل النسبة الطاغية للتونسيين داخل الجسم الحازمي وذلك بشكل جليّ إلى أن وصل الأمر ببعض الجهاديين إلى وصف الحازميين بالجماعة التونسية.

فماهي الأسباب التي جعلت عديد الجهاديين التونسيين يسلكون طريق الغلوّ القصووي؟

إنّ الكثير من السوريين على وجه الخصوص ينظرون إلى الجهاديين التونسيين باعتبارهم الأكثر تطرّفا مقارنة بمقاتلين أجانب من جنسيّات ليس فقط بسبب ظهورهم في عدّة أشرطة مرتكبين أعمال عنف وحشيّة بل لانخراط أغلبهم في الصراع بين البنعليين والحازميين بشكل فعّال.

رغم سيرته الشخصيّة التي يلفّها الغموض وشحّ المعلومات عنه، يُعتبر عمر الحازمي من أكثر الشيوخ متابعة من قبل الشباب على الوسائط الالكترونية. وقد ثبت أنّ الحازمي، الذي يقبع حاليا داخل أسوار سجون المملكة العربية السعودية، زار تونس أربع مرّات بين شهر ديسمبر 2011 وشهر ماي 2012.

تمّ تنسيق زيارات الحازمي وما نتج عنها من نشاطات من طرف ما عُرف بلجنة مساجد حيّ الخضراء وجمعيّة الخير الإسلاميّة (والتي تم اعتقال رئيسها بتهمة تمويل الإرهاب). أشرف على الهيئة المذكورة أبو مهند التونسي القيادي في أنصار الشريعة وإمام جامع الرحمة بحي الخضراء غير بعيد عن العاصمة التونسية.

اشتملت هذه الزيارات كذلك على "دورة علمية" واحدة دارت بالجامع الكبير الحمايدية بمدنين جنوب تونس بين 14و16 ماي 2012 حول شرح المؤلف المعنون بـ"أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة المنصورة" لحافظ الحكمي.

الحازمي، الذي كان يتنقل بكل حريّة ويقال حتّى أنّه كان يدير الدعوة في تونس في ذلك الوقت، قال في أحد دروسه التي ألقاها بأحد مساجد حيّ الخضراء أنّ كلّ من يعذر بالجهل في الشرك الأكبر كافر عالما كان أم عاميا ووصل حتّى إلى تكفير المتوقف في تكفير العاذر بالجهل.

ولم يقف نشاط الحازمي على الخطب والدروس والدورات الشرعية بل ساهم في تأسيس ما سمّي بمعهد ابن أبي زيد القيرواني لعلوم الشريعة، وهو ما ساهم في تشبّع العديد من الشباب التونسيين بمناهج الغلوّ والتكفير.

لقي العديد من التونسيّين مصرعهم خلال حملة التطهير التي نفّذها تنظيم الدولة الإسلامية بحقّهم، ومنهم قيادات سابقة لتنظيم أنصار الشريعة على غرار منسّق زيارات الحازمي لتونس أبو مهند التونسي وأبو جعفر الحطاب أحد أبرز شرعيّي التنظيم وأبو مصعب التونسي. وقد بلغ عدد التونسيين الذين لقوا حتفهم بـ"نيران صديقة" قرابة 150 عنصرا بين قيادات ومقاتلين.

تجدر الإشارة إلى أنّ خطب الحازمي بتونس يمكن الولوج إليها بسهولة عن طريق اليوتيوب من خلال قنوات تابعة لأنصار الشريعة ممّا يطرح التساؤل عن جدوى الرقابة الإلكترونية ومعايير النشر فهي مواد إعلاميّة أشبه بقنابل موقوتة لا تقل خطورة عن شرح تفصيلي لكيفية زرع عبوة ناسفة!!

وفي خضّم الصراع الدائر بين أجنحة الدولة الإسلامية، لم يكن الحازمي الزائر الوحيد لتونس بل أنّ خصمه غير المباشر تركي البنعلي القاضي الشرعي السابق للتنظيم كان في زيارة خاطفة لتونس منتصف شهر أوت من سنة 2012 والتقى خلاله بسيف الله بن حسين المكنّى بأبي عياض وذلك بالجامع الكبير بمنزل بورقيبة وجامع القصيبة ببنزرت. نجد أنّه من الغريب أنّ تركي البنعلي، الذي سبق وأن اعتقلته السلطات البحرينية سنة 2007 بتهم الانضمام إلى إحدى الخلايا الإرهابية ومحاولة تفجير مسجد يرتاده مصلّين شيعة، يزور تونس بكلّ حريّة دون أي رقابة!!

ساهمت الزيارات المتكررة للحازمي والبنعلي وشخصيات مماثلة إلى تونس في إذكاء حدّة التطرّف لدى الشبّان التونسيين، وهو تطرّف طرق حتّى مجلس نوّاب الشعب فيما بعد.

لا ننسى أنّه في الثالث من مارس 2020، صرّح محمد العفاس، النائب عن ائتلاف الكرامة ، خلال جلسة عامة بالبرلمان: "ما يلزمناش نستعارو من التكفير لانو حكم شرعي".

» ساهمت الزيارات المتكررة للحازمي والبنعلي وشخصيات مماثلة إلى تونس في إذكاء حدّة التطرّف لدى الشبّان التونسيين، وهو تطرّف طرق حتّى مجلس نوّاب الشعب فيما بعد «

السيستام والمعارك الجانبية

بقلم: **حمزة عمر**

رئيس جمعية تونس الفتاة

hamza@tounesaf.org

في السنوات الأخيرة، احتدم النقاش حول النظام الانتخابي المتّبع في الانتخابات التشريعية، بدعوى أنّ طريقة الاقتراع الحالية (التمثيل النسبي مع اعتماد أكبر البقايا) لا يمكّن من تكوين أغلبيات برلمانية واضحة، وهو ما ينعكس سلبا على استقرار الحكومات.

كذلك تعالت بعض الأصوات، لا سيّما مع انتخاب قيس سعيّد رئيسا للجمهورية، لتدعو إلى مراجعة النظام السياسي الحالي الذي أرساه دستور 2014 ليتحوّل إلى نظام رئاسي أو على الأقلّ لزيادة صلاحيات رئيس الجمهورية، باعتبار أنّه من غير المعقول ألا يكون لمن انتخبه الشعب بشكل مباشر سوى صلاحيات محدودة.

كلّ هذه الدعوات تأتي تحت مسمّى إصلاح الحياة السياسية، والحياة العامة بشكل مطلق، في تونس، وهي كلّها كلمات حقّ يراد بها باطل رغم حسن النوايا (أحيانا). في ظلّ المشهد السياسي الذي نعرفه في تونس، لنتصوّر الانعكاسات المفترضة لمثل هذه "الإصلاحات". لو اعتمدنا طريقة اقتراع لا تعتمد التمثيل النسبي أو تضع عتبة مرتفعة، لتحصلنا على برلمان تقتصر التمثيلية فيه على النهضة والدستوري الحرّ، وربما قلب تونس وائتلاف الكرامة مع تمثيل هامشي لقوى أخرى. هل نتصوّر فعلا أنّه لو أمكن لأحد هذه القوى أن يشكّل حكومة بمفرده سيكون حال البلاد أفضل؟ نفس الشيء يمكن قوله بالنسبة إلى النظام السياسي. ألا نتخيّل لو كان الدستور يمنح صلاحيات واسعة لرئيس الجمهورية، أنّه من الممكن أن يؤدّي ذلك، باعتبار ما نعرفه الآن، إلى ميول دكتاتورية؟

هذا النوع من التحاليل ينطلق من منطق شكلاني قانوني، هو المسيطر عموما على تحليل الحياة السياسية في تونس منذ 2011. يكتفي هذا التحليل ببيان النتائج المنجرّة نظريا عن اتّباع نظام قانوني معيّن، دون التفات إلى لعبة المصالح وطبيعة الفاعلين السياسيين.

يمكن تقسيم الفاعلين السياسيين في تونس إلى صنفين أساسيين: هناك قوى ربّما تحاول فعلا أن تساهم في إصلاح حال البلاد، ولكنها لا تملك الوسائل لذلك، وأحيانا لا تملك غير النية الحسنة، وهو ما يجعلها ذات طبيعة "دون كيشوتية"، إن لم تنحرف إلى ضرب من الشعبوية. في الطرف الآخر، نجد القوى ذات الطبيعة البراغماتية. قد تكون لبعضها خلفيات إيديولوجية عند التأسيس ولكنّها ما لبثت إن فهمت كيف تدار اللعبة فانخرطت في "السيستام".

تبدو مقولة السيستام ذات طبيعة مؤامراتية. ولكنّها، إذا ابتعدنا عن ألوان المغالاة التي تجنح أحيانا إلى نسج صورة أسطورية عمّا يجري في الكواليس، تعبّر عن شبكة العلاقات والمصالح التي تسعى إلى ضمان نفوذها مهما كانت القوى السياسية التي في الحكم. ما قبل الثورة، كان الأمر بسيطا إلى حدّ ما. كلّ هذه العلاقات والمصالح كانت مرتبطة بن علي وعائلته وتخضع لإشرافهما الدقيق. بعد الثورة، كان من الخطأ وربما من السذاجة أن نتصوّر أنّ هذه الشبكة ستنهار بمجرّد سقوط رأس النظام.

ما حدث أنّ هذه الشبكة اهتزّت فعلا، ولكنّها تمكنت فيما بعد من استعادة تماسكها. بعد أن تمّت التضحية ببعض الرؤوس، أقامت هذه الشبكة روابطها مع القوى التي صعدت في تلك الفترة وما تلاها ووقع إبرام الصفقات اللازمة للمحافظة على تلك المصالح.

ثمّة بعض القرائن التي أصبحت تتسرّب أحيانا إلى وسائل الإعلام أو ما تروّجها بعض المنظمات الناشطة في مجال مراقبة الشأن العام والتي يمكن أن تحيلنا على استمرارية السيستام في كلّ العصور وتحت ظلّ كلّ البرلمانات والحكومات. نسمع مثلا عن الدعم الذي تقدّمه الدولة نقدا لتصدير بعض المواد الغذائية، نسمع عن تدخّل الدولة في توريد بعض الغلال لتحتكر مساحات تجارية كبرى بيعها، نسمع عن تسهيلات وإعفاءات وقروض تقدّم دون حساب لرجال

> ***"كلّ هذه الدعوات تأتي تحت مسمّى إصلاح الحياة السياسية، والحياة العامة بشكل مطلق، في تونس، وهي كلّها كلمات حقّ يراد بها باطل رغم حسن النوايا (أحيانا)"***

أعمال في قطاعات تشهد مصاعب هيكلية كالقطاع السياحي.

ربّما تبلغ الأمور أقصاها في نظر الجمهور عندما يتعلّق الأمر بدعاوى جزائية تصبح فيها المعاملة بمكيالين هي القاعدة. في حين أنه يحكم بالسجن بثلاثين سنة على شباب في قضية استهلاك للزطلة، يمكن أن يفرج، دون توجيه أيّ تهمة، عن آخرين في قضية ترويج مخدرات فقط لأنّهم من المحظوظين الذين تربطهم علاقة بأرباب السيستام.

مثل هذا الإجحاف الواضح هو ما يجعل العديدين يهمسون أو يصرخون في مرارة "ما تبدّل شي". لا يعني ذلك حرفيّا أنّ شيئا لم يتغيّر قبل الثورة وبعدها. من الأكيد أنّ أشياء كثيرة تغيّرت، ولكن المستفيدين من السيستام هم في الأغلب الأعمّ هم نفسهم.

طوال السنوات العشر السابقة، ومن خلال متابعة استطلاعات الآراء التي تقام بشكل دوري حول الشأن السياسي، أذكر أنه من الحالات النادرة للغاية التي شهد فيها رئيس حكومة ارتفاعا ملحوظا لمنسوب الثقة فيه، تلك الحالة التي تخصّ يوسف الشاهد مباشرة إثر إلقاء القبض على شفيق الجراية. هبّت نسمة من الأمل حينها على عموم المواطنين الذين ظنوا أنها خطوة نحو تفكيك السيستام، قبل أن تتبدّد هذه الآمال سريعا.

لكي يتبدّل شيء ما حقّا، ربّما يجدر أن نوجّه اهتماما أقلّ إلى المعارك التي تجري على السطح والتي لا تغيّر بشكل ملموس الخيوط التي تحرّك ذلك السطح. صحيح أنّ عددا من الإعلاميين والناشطين في المجتمع المدني يبذلون مجهودا جبّارا في هذا الصدد، ولكن المقاومة العنيفة وحملات التشويه تدفع بهم شيئا فشيئا بشيء نحو الإحباط... إحباط لو تعمّم بشكل كلّي، فلن يظلّ هناك في الأفق ما ننتظره.

» لكي يتبدّل شيء ما حقّا، ربّما يجدر أن نوجّه اهتماما أقلّ إلى المعارك التي تجري على السطح والتي لا تغيّر بشكل ملموس الخيوط التي تحرّك ذلك السطح «

حينما يكشف الشعر عن فظائع الحروب:
قصيدة "في حقول الفلاندرز" لجون ماكراي

بقلم: **فهمي رمضاني**
أستاذ مبرّز في التاريخ وعضو الهيئة المديرة لجمعية تونس الفتاة
fahmi@tounesaf.org

قد لا يُدرك المرء أهوال الحُروب وفظائعها إلاّ حينما يعيش أحداثها الدّامية وظُروفها المُروّعة، فما يرويه جندي كان قد عاش ويلات الحرب قد يكون أعمق وأكثر صدقًا في بعض الأحيان مما يخطّه المُؤرخون قديمًا وحديثًا. ولئن تُثير الحروب عادة عند اندلاعها حماس الجُنود فيندفعون نحوها اندفاعا بروميثوسيا فإنهم سرعان ما يتمنون الخلاص والانعتاق من أوزارها حينما تتحول إلى جحيم.

وتعدّ الحرب العالمية الأولى أهم حدث هزّ العالم في بداية القرن العشرين، إذ أعلنت عن بداية عصر جديد من الحروب التي يكون فيها العلم سلاحا فتاكا ومدمرا يتم تسخيره من أجل إنتاج الرعب والخوف والموت، فيزداد بذلك بؤس الجنود وتكثر معاناتهم خاصة في المعارك الطاحنة والخنادق البائسة مع الغازات السامة والجرذان النتنة دون أن ننسى جنون جنرالات الحرب وحماقاتهم. كُلّ ذلك جعل من هذه الحرب الكونية الأولى جحيما لا يمكن احتماله امتدّ طيلة أربع سنوات.

لم يكن هناك شيء قادر على ترجمة ما عاشه الجُنود من آلام ومعاناة وأحداث مُرّوعة سوى ما قد تخُطّه الأيدي في لحظة من اللحظات مؤكدة في ذلك تشبث الإنسان بالأمل والحياة على الرغم ممّا يحيط به من أهوال. في هذا الإطار، تعتبر قصيدة " في حقول الفلاندرز" للجندي والطبيب الكندي "جون ماكراي" من أشهر القصائد التي كُتبت عن الحرب.

من هو جون ماكراي؟

ولد جون ماكراي في 30 نوفمبر 1872 في جيلف بأونتاريو بكندا وهو طبيب وجرّاح وشاعر. كان والده قائدا عسكريًا مُخلصا لوطنه، فنشأ بذلك ماكراي على قيم حب الوطن والإخلاص. تحصّل على شهادته في الطب من جامعة تورنتو كما كان مُغرما بالآداب القديمة والكلاسيكية فكان يطالع بنهم كلّ ما يُكتب في الأدب والتاريخ.

في سنّ الواحدة والأربعين التحق ماكراي بفرقة المشاة الكندية بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى حيث تطوع كجندي وضابط طبيّ في وحدة قتالية كندية. كتب ماكراي إلى صديقه المُقرّب ألكسيس هيملر حينما التحق بالحرب: " أنا خائف حقا لكني أكثر خوفا من البقاء في منزلي مع ضميري". شارك ماكراي في عديد المعارك الحاسمة في الحرب العالمية الأولى أهمها معركة إيبرس الثانية ومعركة باشنديل.

توفي جون ماكراي في 1918 بسبب إصابته بمرض ذات الرئة.

معركة إيبرس الثانية: من رومانسية الحرب إلى أهوالها

مثلت معركة إيبرس الثانية إحدى أكثر معارك الحرب العالمية الأولى دموية ودمار، إذ تحوّل حماس الجنود واندفاعهم وتوقهم إلى النصر إلى جحيم من المعاناة والألم. انطلقت هذه المعركة في 21 أفريل 1915 وانتهت في 25 ماي 1915 وهي معركة استنزاف كبيرة للجانبين دارت في ظروف مروّعة.

تمثّل الهدف الاستراتيجي للألمان من خلال هذه المعركة في السيطرة على مدينة إيبرس التي تقع غرب بلجيكا والتوغل أكثر باتجاه فرنسا، أما بالنسبة للحلفاء فقد كانوا يأملون صدّ العدوّ ودحره في أيام قليلة. لكن لم يعتقد كلا الجانبين أن المعركة ستدوم أسابيع وستكون خسائرها البشرية فظيعة حيث سيتم استخدام الغاز السام فيها لأوّل مرة من قبل الألمان.

كان غاز الكلور السام المفاجأة التي أعدّها الألمان إذ سرعان ما انتشر هذا السلاح الفتاك الذي وصفه الفرنسيون بالوحشي في الجبهات الكندية والبريطانية والفرنسية مخلّفا الآلاف من الضحايا الذين قتلوا أو أصيبوا بالعمى التام أو الجزئي. لكن على الرغم من ذلك، صمد الحلفاء حيث يشبّه جون ماكراي ذلك بالمعجزة.

في رسالة كتبها لوالدته وصف جون ماكراي المعركة بأنها " كابوس ...لمدة سبعة أيام لم يخلع أحد منا ملابسه ولا حتى أحذيتنا ...طوال ذلك الوقت بينما كنت مستيقظا لم يتوقف إطلاق النار ...ومع كل ذلك كانت مشاهد الموت والجرحى والقلق الرهيب ..."

في حقول الفلاندرز: القصيدة الرمز

تعد قصيدة "في حقول الفلاندرز" من أشهر القصائد العاطفية التي كُتبت عن الحرب، حيث كانت هدية لكل الجنود الذين لاقوا حتفهم. وقد ألفها جون ماكراي في 3 ماي 1915 بعد مقتل صديقه ألكسيس هيملر في معركة إيبرس الثانية. أدّى ماكراي الدّفن بنفسه وتأثر لفقدان صديقه العزيز كثيرا. وبعد أيام لاحظ نمو نبات الخشخاش (نباتات عشبية من أسرة شقائق النعمان) بسرعة حول قبور الجنود الذين ماتوا في المعركة.

أمضى جون ماكراي الأيام التي تلت وفاة صديقه وهو يشعر بالعجز عن عدم التمكن من مساعدته وإخراجه من أهوال الحرب، فكتب قصيدته الشهيرة التي يقول فيها:

في حقول الفلاندرز انفجر الخشخاش

بين الصُلبان صفًا تلو الآخر

ذاك هو علامة مكاننا وفي السماء

ما تزال القبرات مترنمة دون وجل تطير

لا تكاد تسمع وسط أصوات البنادق

نحن الموتى وقبل أيام قليلة

> ”
>
> ***لم يكن هناك شيء قادر على ترجمة ما عاشه الجُنود من آلام ومعاناة وأحداث مُرّوعة سوى ما قد تخُطّه الأيدي في لحظة من اللحظات***
>
> “

كنّا أحياء ونشعر بالفجر ونشاهد غروب الشمس المتوهج

أحببنا وكنا محبوبين والآن نستلقي أمواتا

في حقول الفلاندرز

تابعوا معركتنا مع العدو

من أيد خائرات نرمي الشعلة إليكم

ولتكن لكم لترفعوها عاليا

وإن نقضتم العهد نحن الذين نموت

فلا ننام ولو أن الخشخاش يتكاثر

في حقول الفلاندرز

تعد هذه القصيدة حسب المؤرخ بول فوسكانت "أشهر قصيدة في عصرها " حيث أعيد نشرها في جميع أنحاء العالم وسرعان ما أصبحت مرادفة لتضحية الجنود الذين ماتوا خلال الحرب العالمية الأولى.

كأنّ جحيم الحرب هنا قد ذكّر جون ماكراي بالقيم التي يتوجب أن تقود الإنسانية في بداية القرن العشرين، وهي قيم حتما منافية للجشع والإمبريالية وحب السيطرة والتنافس المحموم.

أضف إلى ذلك، لا يمكننا أن ننكر وجود مسحة رومانسية تميز قصيدة "في حقول الفلاندرز" إذ يعكس ذلك بلا ريب تشبّث الشاعر بالأمل والكفاح والنضال من أجل العودة إلى الوطن سالما وتحقيق النصر في هذه الحرب الكونية الكبرى.

من الأهمية بمكان كذلك، الإشارة إلى استعمال الشاعر لنبتة الخشخاش كرمز للحياة في إطار حديثه عن قبور الموتى، إذ تعيد هذه النبتة الحياة للجنود الذين لاقوا حتفهم في المعارك. وسيصبح الخشخاش بذلك أحد أشهر الرموز التذكارية في العالم للجنود الذين يضحّون بأنفسهم في الحروب، فقد

المصدر: https://g.cz/

أصدرت كندا سنة 2015 عديد الطوابع البريدية احتفاء بالذكرى المئوية لصدور قصيدة جون ماكراي وقد حملت هذه الطوابع صورة لنبات الخشخاش.

لئن كان لون الخشخاش أقرب إلى لون الدماء، فإن الشاعر قد استخدمه للدلالة على انبعاث الحياة من جديد من جهة وخلود أرواح الجنود الذين سيبقى يذكرهم التاريخ من جهة أخرى.

يعود كذلك جون ماكراي في قصيدته إلى جدلية الموت والحياة بين الحاضر والماضي وذلك من خلال استرجاع الماضي السعيد الرومانسي والحاضر الأليم القاتم. فالماضي يمثل بالنسبة للشاعر الحياة الطبيعية التي كان يعيشها قبل الحرب حيث كان هناك الحب والحياة و"غروب الشمس المُتوهّج" والفجر في حين أن الحاضر لا يمكن أن يكون سوى مرادفا للموت ولأصوات البنادق فكأن الشاعر هنا ينتظر الخلاص الذي ينهي هذا الكابوس ويعيد الحياة إليه.

يؤكّد الكاتب في النهاية على ضرورة النضال والكفاح من أجل تحقيق النصر. فعلى الرغم من فظاعة المعارك، أصر الشاعر على تحفيز الجنود ودفعهم وبث روح المقاومة والشجاعة فيهم حيث استعمل كلمة الشعلة للدلالة على الاصرار والشجاعة والمقاومة حتى لو كانت تلك الشعلة "من أيد خائرات".

تُمثّل قصيدة جون ماكراي "في حقول الفلاندرز" تخليدا لذكرى كل من عاش أهوال معارك الحرب العالمية الأولى وهي كذلك شهادة حيّة وصادقة يمكن الاعتماد عليها كوثيقة تاريخية لإعادة النظر في تاريخ عالمنا المعاصر بأزماته وتحوّلاته الكبرى. فلطالما اعتمد المؤرخون على تقارير الجنرالات والوثائق الرسمية في حين أنهم لا يعيرون أدنى اهتمام إلى مثل هذه المصادر التي كتبت التاريخ من أسفل أي تاريخ الهامش (تاريخ الجنود البسطاء). ولا ريب أن مؤرخ اليوم مطالب بالانفتاح أكثر على مصادر متنوعة وموازية ومنها القصائد التي تبدو أكثر صدقا وعمقا من غيرها من الوثائق.

> ***لئن كان لون الخشخاش أقرب إلى لون الدماء، فإن الشاعر قد استخدمه للدلالة على انبعاث الحياة من جديد من جهة وخلود أرواح الجنود الذين سيبقى يذكرهم التاريخ من جهة أخرى***

طقوس الاستمطار بشمال إفريقيا:

أمك طنبو، أسطورة أنزار، أسطورة تاغونجا

بقلم: **أكرم بن عمارة**

باحث في تراث الجماعات والأقليّات

akremxb@gmail.com

> *يعبّر نزول المطر وعودة الحياة إلى القرية وجريان العيون وتدفّق الأنهار والأودية عن رضا إله المطر*

كوّن الإنسان منذ البدءِ طقوسًا ومعتقدات ليتكيّف مع الطبيعة المُعاشة أوّلا، وثانيا لحاجته لإخضاعها وتأنيسها وفهم ظواهرها والسّيطرة على تحوّلاتها. فهي تندرج ضمن التّراث اللاّمادي الشّفوي المتنوّع الذي عملت الذّاكرة الجماعيّة على حفظه وصونه باعتباره مستمدا من أعماق الحسّ الرّوحي عند الإنسان الأوّل الذي لجأ إليها كلّما قست الطّبيعة واشتدّت وطأتها وعمّ الجفاف والقحط.

وقد جاءت هذه الطّقوس والمعتقدات كسبيل للخلاص ودرءِ الخطر وجلب الخير وتسهيل العيش، وهي من الطّقوس والشّعائر الشّعبية الضّاربة في القدم انطلاقا من الحضارات القديمة وصولا إلى شمال إفريقيا بمختلف أنحائها ومناطقها سواء النّاطقة بالأمازيغيّة أو العربيّة العاميّة. نذكر من هذه الطقوس "أسطورة تاغونجا" بالمغرب، "أمّك طنبو" بالبلاد التّونسية و"أنزار إله المطر" بالجزائر التي تُعدّ من أقدم الشّعائر الاستسقائيّة حين تكون الأرض والمحاصيل مهدّدة بالجفاف والقحط والتّلف.

فالمتكلّس العقدي لهذا المشترك الإنساني الكوني في الموروث الشعبيّ ما هو إلا تواصليّة لمعتقد الأجداد وموروثهم وما يحمله من توظيف للمقدّس الذي تجسّد على هيئة دمية عملاقة.

تتشابه طريقة ممارسة هذا الطقس بعناصره الرّئيسيّة في مختلف المناطق، ولم يتمّ تسجيل إلاّ اختلافات شكليّة طفيفة جدّا فيما بينها.

أسطورة "الإله أنزار" وعروس المطر

تزخرُ الميثولوجيا الأمازيغيّة بمعتقدات شعبيّة، لازالت راسخة في ذاكرة أمازيغ الجزائر، حيث تعتبر أسطورة إله الماء "أنزار" من الأساطير الشعبيّة التي نسجها المخيال الشعبيّ الجزائريّ، حيث تروى قصة حبّ أسطورية بين إله الماء والفتاة تاسليت وزواجهما المبارك الذي يعيد الماء إلى القبيلة وسكّانها من جديد.

وفي البداية وقبل أن يلتقي الإله أنزار بالفتاة، كان الأهالي يتعاملون معه من خلال طائر السّنونو الأسود الّذي يرسله كل فترة ليبشّر النّاس بنزول المطر حتى لا يصيبهم اليأس. ولأنّ الأمازيغ كانوا يعتقدون أنّ هذا الطّائر مبعوث من عند الإله أنزار، كانوا يمسكونه ويخضبون رأسه بالحناء تبرّكا وتيمّنا وتقرّبا منه.

وعندما رفضت الفتاة الزّواج منه، أصبح أنزار يعيش في حالة تتراوح بين الحزن والغضب، فحبس الماء عن القبيلة كعقاب منه، فأصابهم الجفاف.

وتحكي لنا الأسطورة في البداية أنّ إله المطر أنزار لمح فتاة فائقة الجمال عند النّهر، وكانت هذه الفتاة عاشقة للمياه تغتسل دائما، فنزل إليها وتجسّد على هيئة شاب جميلٍ، غازلها وأنشد يعرّف بنفسه:"أنا أنزار إله الماء ومصدره، أنا أنزار مصدر الحياة". أحبّها حبّا جنونيّا وأعجب بها، وتنازل عن كبريائه وصارح الفتاة تاسليت بحبّه وطلب منها الزّواج، إلا أنّها رفضت طلبه واعتبرت مواعدتها لأنزار خيانة لأهلها وقبيلتها. عاد أنزار إلى السّماء غاضبا حزينا، فحبس الماء عن القرية وأهلها فأصابهم الجفاف وعمّ القحط ولم يعد هناك أيّ غذاء، وحلّ عقاب أنزار الّذي لا يرحم. فما كان للفتاة إلا أن باحت بسرّ لقاءها بأنزار وغضبه عليها. وقتها قام الأهالي بإقناع الفتاة بمقابلة الإله وقبول الزواج منه والارتقاء معه إلى السّماء بعد أن لبست من الملابس أحسنها ووضعت من العطور أطيبها.

أصبحت تاسليت عروس أنزار، فحملها بين ذراعيه وعاد بها إلى السّماء، فنزل المطر وعمّ الغيث القرية وأهلها وارتوت محاصيلها. وجعلت تاسليت حياة أنزار مليئة بألوان السّعادة والخير، وما قوس قزح حسب الأسطورة الأمازيغيّة إلاّ ظلّ الطّريق الذي عرّج به الزّوجان نحو السّماء. يعبّر نزول المطر وعودة الحياة إلى القرية وجريان العيون وتدفّق الأنهار والأودية عن رضا إله المطر. لذا فإنّ الأمازيغ بالجزائر يتبرّكون بأنزار وعروسه حين يطوفون وهم يردّدون أهازيج وأغاني تمدح ربّ المطر وتتغزّل بعروسه من أجل طلب عطفه لسقي الأرض بمائه. ومازالت هذه الثقافة الشّعبية حاضرة عند الجفاف لنستشفّ منها أنّ ثقافة الشعوب وتواصليّتها ماهي إلاّ ذاك الزخم من الإيمان العجائزي بتلك الأساطير التي هي من صنع الإنسان ذاته.

طقس "أمّك طنبو "أو "أمك طنقو"

"أمّك طنقو" هي عادة قديمة تقليديّة في تونس، استنبطها الإنسان وصنع ملامحها لطلب الغيث والاستسقاء، وهي مستمدّة من رموز من حضارات قديمة قدّسها المخيال الشعبي، ونعني هنا تحديدا الإلهة تانيت

"أمّك طنقو" هي عبارة عن عروس يدويّة الصّنع، تقوم عجوز القرية أو البادية بصنعها بحيث تربط قطعتي خشب بشكل متقاطع يبه الصليب وتلبس ثياب مزركشة وتوضع عليها قلادة من "السخاب"، والغالب تكون كسوة "أمك طنقو" خضراء اللون لرمزية اللون الأخضر الذي يحيلنا إلى الخصب والإخصاب، أمّا وجهها فيكون على شكل كرة بيضاء من القماش محشوّة بالصوف بعد ذلك يعطى المجسّم للصّبايا ليقمن برحلة التّطواف بين الأزقّة والأنهج، وكانت النّساء بالحيّ يخرجن ويرششن الدمية بالماء. فإن لم ينزل الغيث يقمن بحرقها. لكن عند نزول المطر يغنّون:

"أمّك طنقو يا الأولاد... غسلت راسها في الواد

أم طنقو شهلولة ...على الله تروّح مبلولة

أمّك طنقو بسخيبها ...طلبت ربي ما يخيبها

يا الله وڤرين فول...يا الله وصبح مبلول

يا الله و ڤرين فلفل...يا الله وصبح متفلفل

يا بركة يا هو يا هو...والشباك إلا زارو

يا بركة جامع المستير...صبح كل غدير تسيل

يا الله وعجيلة تسنى...يا الله وتروح بكرى

الزريعة تحت الطوب...حرّ عليها يا مطلوب

الزريعة في الرواني ...حرّ عليها يا فوڤاني"

أسطورة "تاغونجا" بالمغرب

أسطورة "تاغونجا" هو المعتقد الذي يلجأ إليه المغاربة لطلب الغيث كلما اشتدّت السّنوات العجاف. تمشي النّساء حافيات الأقدام في مواكب يتقدّمها الأطفال والصبيان تيمّنا ببراءتهم وقربهم من الله باعتبارهم "أحباب الله"، وقد حملن دمية ألبست أفضل الملابس وأجملها وهم يردّدون شعارات خاصّة بالمناسبة.

وغونجا أو تاغونجا -بحسب اللّسان الدّارج- هي اسم لشخصيّة أسطوريّة ضاربة في القدم الّتي تتحدّث عن تلك الفتاة الّتي عشقها إله المطر وطلبها لنفسه، ولكنّها رفضت، فغضب منها وأدار خاتم إصبعه فجفّ النّهر الّذي كانت تستحم فيه، وأمام هذا التحوّل الخطير، خلعت الفتاة الجميلة لباسها الحريري ووقفت وسط النّهر الجافّ وظلّت تناجي ملك المطر إلى أن عاد من السّماء فضمّها إليه وأخذها معه ، فعاد النّهر إلى سابق عهده في الجريان، واخضرت الأرض .لذلك يعمد أهالي دواوير البادية خاصّة النّساء منهم، إلى

الاستعانة بـ"الطرّاحة" أو "الرماية" المستعملة في طرح العجين في الفرن، وفي بعض المناطق يستعان بالمغرفة (الغونجية) ملعقة كبيرة تستعمل في تحريك الطعام لصناعة الدّمية القماشيّة "تاغونجا"، إذ يقمن بتلبيسها زيا نسائيّا من أفضل ما ترتدي النّساء، ويضعن منديلا ليشكلن به الرّأس حتّى توحي للرّائي بخيال امرأة، فيرفعنها في مسيرة وجهتها مسجد الدوار أو أحد الأضرحة. ومن ضمن الأهازيج أو الأغاني التي يتم ترديدها على طول المسير:

"يا ربي غيثنا حتى يقطر بيتنا"،

"غونجا يا مونجا واللي طلبناه راه جا"،

"الفولة عطشانة سقيها يا مولانا"،

"غونجا، يا ربي جيب الشتا"

يفعلن ذلك على مسافة طويلة وهنّ يدققن أبواب البيوت، ليقع رشّ الدمية بالماء ولتجميع العطايا من (القمح والسّميد والشّعير وما إلى ذلك) وتنتهي هذه الجولة بالوصول إلى ضريح أحد الصّالحين أو مسجد القرية، ثمّ يعمدن إلى الطواف بالضّريح أو المسجد شريطة أن يكون عدد الدورات وترا قبل العمل على طهي الطعام بما تمّ تجميعه طيلة التطواف بالمنازل ويتمّ توزيعها على شكل أطباق (يختلف الطعام المقدّم حسب الثقافة الغذائيّة لكل قرية) لجميع أهل القرية. تختلف داخل المجال الواحد مراسم الاحتفال بهذا الطقس، فهناك من يقومون بإيكال المهمّة إلى عجوز في القرية تعرف بالورع لتختار أجمل فتاة بينهم وتعطيها مجسّم "تاغونجا" (الدّمية القماشيّة) لتحمله وتطوف به. وكذلك لاحظنا في بعض البلدان العربية كفلسطين مثلا أنّ الأهالي بعد نهاية التطواف بما يرافقه من أغاني وأهازيج بإلقاء الدّمية في النّهر، ويعتقدون أنّه إذا جرفها النهر علموا أنّ السّنة ستكون سنة خير وأنّ الأمطار ستنزل بكثرة وإذا استقرت في النهر كانت سنة قحط وجفاف.

مواطن التشابه والالتقاء

كانت الغاية المشتركة بين كلّ هذه الطّقوس تاريخيّا طلب الماء والسّقي، وكان دافعها هو انعدام الماء وندرته. ولكن كلّ على طريقته وممارسته الّتي وإن اختلفت قليلا إلاّ أنها اتّبعت في العموم خيطا ناظما.

في طقس أمك طنبو، يتجسّد هذا التّراث من خلال حضور عناصر أساسيّة لا غنى عنها ليكتمل هذا الطّقس وهم الأطفال استئناسا ببركتهم وقربهم من الله والدّمية القماشيّة الّتي تتشكّل وتصنع على هيئة صليب من الخشب أو القصب لتوضع عليه الخرق والشّوالق من مجموعة من المناديل الخضراء تبرّكا برمزيّة هذا اللّون الّذي يرمز للخصب والإخصاب وثقافة الحياة التي تجسّد في مظهره العام صورة امرأة تغيب عنها الملامح ويحضر شكلها، وكذلك نجدُ حضورا للعنصر النّسائي الذي تتمثّل مهمّته في رشّ

»

كانت الغاية المشتركة بين كلّ هذه الطّقوس تاريخيّا طلب الماء والسّقي، وكان دافعها هو انعدام الماء وندرته. ولكن كلّ على طريقته وممارسته الّتي وإن اختلفت قليلا إلاّ أنها اتّبعت في العموم خيطا ناظما

«

الدّمية بالماء وإعداد الأكل (الحساء، الفول، الطرشي، البازين، وهي تمثّل عناصر الطّبيعة والغذاء) ولا ننسى الأهازيج والأغاني التي ترتفع مناجاة وتيمّنا. تتشابه كلّ هذه العناصر مع أسطورة تاغونجا وتتقارب مع بعض الاختلافات البسيطة، إذ نلحظ حضور نفس العناصر من الأطفال والنّساء إلى التطواف والغناء والأهازيج وصولا إلى المشترك الأوحد الدمّية القماشيّة التي تختلف في عناصر صناعتها إلاّ أنّها تمثّل الرّابط الأوحد والّذي لا يغيب بالمرّة. أمّا أسطورة إله المطر انزار، فيمكن اعتبارها، حسب التّسلسل التّاريخي للروايات، الانطلاقة الأولى لكل هذه التّعابير والمنشأ الذي اختلقت منه أمّك طنقو وتاغونجا

مواطن الاختلاف

رغم التّشابه والتّطابق النوعي لطقسي أمّك طنقو وتاغونجا إلاّ أنّ هذا لا ينفي وقوفنا عند بعض الاختلافات الّتي ذكرنا أنّها تعود إلى رواسب ثقافات العيش واختلاف البيئات الّتي تقام فيها هذه الممارسات والعادات ،ونذكر من الاختلافات بين هاتين الأسطورتين الهيكل الذي يتم إلباسه حيث نجد في تاغونجا "الغونجية" أو المغرف المصنوع من اللّوح في حين نجد عمودين على شكل صليب من الخشب أو القصب في أمّك طنبو، وكذلك نجد اختلافا في اللّباس الّذي يعتمد في تلبيس الدّمية حيث تعتمد الشّوالق والخرق في أمّك طنقو بينما نجد في طقس تاغونجا ملابس وأزياء جديدة تلبسها النساء في الأعراس والاحتفالات كما توضع عليها أحسن العطور وأطيبها، إضافة إلى ذلك نجد في طقس تاغونجا عادة تتمثّل في إلقاء الدّمية أو المجسّم بالنّهر أمّا في عادة أمّك طنقو يتمّ حرقها إذا لم ينزل المطر. ولا ننسى أن ننوّه إلى اختلاف الكلمات في نصّ الأغاني والأهازيج والأكلات الّتي يتمّ إعدادها في نهاية الطّقسين وذلك يعود إلى اختلاف المعاش بين الشّعوب مع العلم أنّ هذا التغيير يشمل الشّكل ولا يمسّ من الغاية من هذه العادة.

أمّا أسطورة أنزار، فتغيب فيه كل العناصر الّتي يشترك فيها الطّقسان الآخران (مجسّم الدمية، حضور الطعام والأطفال). في المقابل، يشتمل أنزار على العنصر الذي استُلهمت منه أمّك طنبو وتاغونجا، ممثّلا في الفتاة الآدميّة والسماء الذي ارتقت إليها استجابة لطلبه. في تتبعنا للسيرورة التاريخية والكتابات التي أرخت لتسلسل هذه الميثولوجيا القديمة، نتبيّن أنّ كلّا من أمك طنقو وتاغونجا إرث ثقافي ولدا من رحم الأسطورة الأمّ، أسطورة أنزار، وتطوّرتا انطلاقا منه ،فحاجة الإنسان الماسّة للماء جعلته يطوّر هذه الأساطير ويغيّر في طرق التّواصل مع الإله.

تبقى طقوس الاستمطار بالأساس وسيلة للنّجاة والخلاص والتقرّب والتضرّع لمن يعتقد فيه الإنسان خلاصه ونجاته وتبقى مكرّسة ومعمولا بها إلى يوم الناس هذا لأنّها تشكّل رواسب من تراث الأجداد الثّقافي غير المادي الّذي وقع توارثه وجرى الاعتقاد به جيلا بعد جيل.

طقس تاغونجا. المصدر: benisnassen.com

> *رغم التّشابه والتّطابق النوعي لطقسي أمّك طنقو وتاغونجا إلاّ أنّ هذا لا ينفي وقوفنا عند بعض الاختلافات الّتي تعود إلى رواسب ثقافات العيش واختلاف البيئات الّتي تقام فيها هذه الممارسات والعادات*

أهمّ المراجع

- William Marçais et Abderrahmân Guîga, *Textes arabes de Takroûna*, Imprimerie nationale / Centre national de la recherche scientifique/ P. Geuthner, Paris, 1925.
- Jean Servier, *Tradition et civilisation berbères : les portes de l'année*, Editions du Rocher, Monaco, 1985
- ميرسيا إلياد، **مظاهر الاسطورة**، ترجمة نهاد خياطة، دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق، الطبعة الأولى، 1991.
- ألفريد بل، **بعض طقوس الاستمطار لدى المغاربيين**، ترجمة سمير آيت أومغار ، منشورات الزمن، المغرب،2016
- جيلبير ديوران، **الانثروبولوجيا: رموزها، أنساقها، أساطيرها**، ترجمة مصباح الصمد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية، 1993

سيرة الطيّب ولد هنيّة... سيرة ريف وجهه امرأة (الجزء الثاني)

بقلم: **خلود الخمّاسي**
مدرّسة لغة أنجليزية
ومؤسسة دار بركة للنشر الالكتروني
khouloud@tounesaf.org

سيرة الطيب ولد هنية هي في أعماقها السردية سيرة هنية أمّ الطيب وقد نجح الطيب الجوادي في مماهاة ريف الكاف، بقساوة تضاريسه ومناخه وشدّته على سكّانه، بشخصية هنية فكأنها تغدو روح المكان ومحرك الزمان وتغدو سيرة الطيب بمعنى وجوده من وجود هنية الأم. يدفعنا ذلك إلى التساؤل إن كان الريف حقا مجالا ذكوريا في ظلّ غياب الأب واضطلاع الأمّ بمفردها بشؤون العائلة.

كتب الطيب الجوادي سيرته بسلاسة أقرب إلى الفطرة منها إلى المهارة العملية وربّما يكمن إبداعه في الأساس في تجنب البهلوانيات اللغوية أو تضخيم الأنا أمام الشخوص الأخرى أو الغلو في تفصيل أو آخر. طرح الكاتب الحياة كما هي بين ثنايا ريف الكاف (ولاية في الشمال الغربي للبلاد التونسية) القاسية أيما قسوة خاصة في فصل الشتاء.

هنية امرأة تغذيها العاطفة ككل البشر ولكن متطلبات العيش في الريف تجعلها تتخلى عن هذا الجانب فيها وتعوضه بقسوة حتى تجاه حالها فالعواطف لا تقيها شر المناخ القاسي في الشتاء ونوائب الدهر. هنية تفقد رضيعتها ذات ليلة دهماء وإذ حاولت إنقاذها فقد باعدت المسافة بينها وبين أقرب مستوصف وما من مغيث غير ابنها الطفل الغض في حين كان زوجها قد سافر طلبا للرزق. تقوم هنية بشؤون بيتها بما ينبغي على المرأة القروية الخدوم بإخلاص -رغم تقلّب البلاد وعبادها- والمضيافة المتعففة رغم كفافها. تأبى هنية إلا أن يكون لابنها النصيب الأوفر من الحياة عسى أن يكون من الناجحين وفيري القوت وربما البخت في عمله ورزقه وزواجه. خبرت هنية من الحياة قسوتها فتحضرت لها برباطة جأش وقاومت المحن.

لهنية المرأة الحيية التي لم تدخل المدرسة وتعيش الكفاف العام تلو الآخر قدرة على تحريك اليومي المعيش وتوليد الأحداث بشكل مبك تارة ومضحك تارة أخرى. هي امرأة تحركها الفطرة فإيمانها في صلابة الصخر وهو يدفعها إلى الاعتقاد أنّ الله لن ينزعج إذا ما تركت بعض الصلوات لأنه رحمان رحيم بأحيائه في شتاء الكاف الكافر. هي لا تفقه مغزى في رفع غطاء رأسها وقد طالب أبو تونس الحديثة نساءها بـ"كشف حالهن" بينما يمنعها حياؤها عن ذلك مهما كان السبب. هنية تدفع بكل العائلة نحو الحياة، على زهدها، فتقوم بدور المقتصد المدير لضيعة صغيرة وتشرف على ثروة الماء الذي تستجلبه وأولادها بعناء وتحفظ بحليها تاريخ العائلة وكرامتها وهي لا تتأخر عن تقديم ديك دجاجاتها لـ"ضيف ربي" قربان كرم وواجب ضيافة. هذه التفاصيل تجعل من هنية دفة سردية الطيب ابنها فهي من تعطي للريف ألوانه السعيدة أو القاتمة ورائحته من عرقها وآنية طعامها وعطرها وصوته صوتها إذ تصدح بـ "هزي حرامك وخمرك" فربما هناك مكان لاستراق قصة عشق مجنونة وسط كل هذه القسوة.

سيرة الطيب ولد هنية لا تقف عند مجرد التدوين لأحداث حياتية لامرأة وابنها. يعدّل الكتاب كفة الميزان لصالح المرأة عموما والمرأة الريفية خاصة في تونس. تجعل بطولات هنية اليومية في سبيل العيش من الكتاب وسيلة للتأريخ لتونس الحديثة من خلال شخصية امرأة. فرغم أنّ صوت السارد مذكّر، غير أنّه يبدو مستفيضا في تأكيد امتداد هنية فيه. يؤكد الكتاب دور المرأة الريفية الفاعل في المنزل والمنظومة المدنية ككل. فرغم أنّ هنية لم تدخل المدرسة، فهي تبدو واعية، سلم قيمها واضح المعالم والأولويات، وهي أيضا رفيقة زوجها في البناء والنضال أو "الجهاد الأكبر" كما أسماه الحبيب الزعيم الذي عبّأ هنية وزوجها وراءه بخطاباته الكاريزماتية فكانا سويّا وفيين في انخراطهما في مشروع دولة الاستقلال.

» يدفعنا ذلك إلى التساؤل إن كان الريف حقا مجالا ذكوريا في ظلّ غياب الأب واضطلاع الأمّ بمفردها بشؤون العائلة «

بيني لاين... شعرية اليومي لدى البيتلز

بقلم: **حمزة عمر**
رئيس جمعية تونس الفتاة
hamza@tounesaf.org

أصدر البيتلز أغنية "بيني لاين" Penny Lane(شارع بيني) في شهر فيفري من سنة 1967، في نفس الشريط الذي احتوى في الجهة الأخرى أغنية " حقول الفراولة إلى الأبد". كلتا الأغنيتين من تأليف الثنائي جون لينون وبول مكارتني، وإن كانت مساهمة الأخير أكبر في بيني لاين. كان هذا الشريط أوّل عمل موسيقي جديد للبيتلز بعد قرارهم التوقّف عن إحياء حفلات عامة في سنة 1966، عندما اعتبروا أنّ صخب المشاهدين لم يعد يمكّنهم من تقديم موسيقى جيّدة. لذلك كان هناك ترقّب كبير لهذا العمل، ولم تخب الآمال...

ليس "بيني لاين" غير شارع في الضاحية الجنوبية لليفربول، لم تكن له من ميزة سوى كونه نهاية خطّ عدد من وسائل النقل في هذه المدينة. إلا أنّه كان، وهذا الأهمّ، من الأماكن التي تسكّع في أرجائها بول مكارتني وجون لينون وجورج هاريسون زمان صباهم. من هذا الحنين إلى زمن الطفولة انبثقت هذه اللوحة الموسيقية.

ترسم الأغنية ملامح متناثرة لشخصيات متعدّدة تتعايش في هذا الشاعر: حلّاق، مصرفي، أطفال، ممرضة، رجل إطفاء. ليس لأيّ من هذه الشخصيات خصائص تجعل منها خارجة عن المألوف، سوى بعض التفاصيل الغريبة التي تتمسّك بها: الحلّاق يحتفظ بصور كلّ الرؤوس التي حلقها، المصرفي لا يرتدي معطفا رغم المطر الغزير، الممرّضة التي تبيع زهور الخشخاش في الترام، الإطفائي الذي يستعمل ساعة رملية ويحتفظ بصورة الملكة...

هذه التفاصيل الغريبة هي التي تجعل تجاوز اليومي ممكنا، فهي تمنح الشخصيات طابعا خاصا ربما يكون له دوره في شعورهم بقيمتهم الذاتية. يبدو ذلك بشكل جليّ في حالة الممرّضة التي "تشعر أنّها في مسرحية". إيقاعيا، تؤكّد ذلك عبارة "غريب جدًا" التي تشكّل شبه لازمة، بما أننا نجدها في موضعين مختلفين مباشرة قبل اللازمة.

هذه الغرابة نجدها في خصوص الزمن الّذي ترصد فيه الأغنية هذه اللوحة. نجد قرائن متناقضة: في حين تحيل "زرقة سماء الضواحي" إلى فصل الصيف، يشير مشهد الإطفائي والمطر يبلّله بوضوح إلى فصل الشتاء. رأى البعض في ذلك جموحا لخيال المؤلّفين تحت ظلّ عقاقير الهلوسة، وقد كان البيتلز فعلا وقتها في مرحلتهم "البسيكيليدية". غير أنّه يبدو من الخطأ القول أنّ الزمن المقصود هو واحد وحقيقيّ. لا يتعلّق الأمر بالتقاط صورة للشارع في لحظة زمنية محدّدة بدقّة. يسترجع مكارتني ولينون ذكرياتهما الطفولية عن المكان، فتتداعى الصور في غير انتظام. لا معنى للزمن هنا غير ذاك الذي يكتسبه في الحلم.

وكما يتعدّد الزمن، يتعدّد المكان كذلك. صحيح أنّ الحيّز المكاني العام ضيّق بطبعه (شارع بيني)، لكن داخله تتعدّد الفضاءات: الزاوية، المفترق، دكّان الحلّاق... ولكلّ من هذه الفضاءات شخصياته وطابعه الخاص. فمحدوديّة الحيّز المكاني لا تتنافى مع ثرائه.

تبدو الصورة متشظية إلى حدّ ما: كل شخصية تقوم بعمل ما في مكان وزمان مختلفين. غير أنّ المقطع الأخير يجعل هذه العناصر تأتلف بشكل عجيب وغير متوقّع، إذ تلتقي أغلب الشخصيات (الحلّاق والإطفائي والمصرفي) في مكان واحد (دكّان الحلّاق) وفي زمن واحد (تحت المطر)، فيما يشبه نهاية لقصّة ليس لها أحداث بارزة. هذا الائتلاف غير مستغرب. منذ المقطع الأوّل، يُقدّم شارع بيني باعتباره مكانا فيه يتوقّف الجميع ليسلّموا على بعضهم البعض. يبعث هذا الشعور بالألفة دفئا جديرا بمكان يُعتبر، على نحو ما، وطنا.

يخلق البيتلز من تفاصيل متناثرة في مكان عادي ما يُشبه الملحمة. لا يعود اليومي ذلك الرتيب المتكرّر أمام دهشة الفنّان، بل يضحي مادة لإعادة الخلق والتركيب وفق ما يمليه شعوره الخاص جدًا تجاهه. نلمح هنا بصمة بول مكارتني الأقرب إلى الواقعية في مقابل ميول جون لينون التجريبية في أغنية الشريط الأخرى "حقول الفراولة إلى الأبد"، التي كان منطلقها كذلك أحد أمكنة الطفولة، وكلتا الأغنيتين كانتا من العناصر التي بنى بها البيتلز ميثولوجيا لمدينة ليفربول، على حد تعبير الشاعر روجر ماكغاف.

> **يخلق البيتلز من تفاصيل متناثرة في مكان عادي ما يُشبه الملحمة**

فرص التعلّم والتدريب للتطوّر المهني

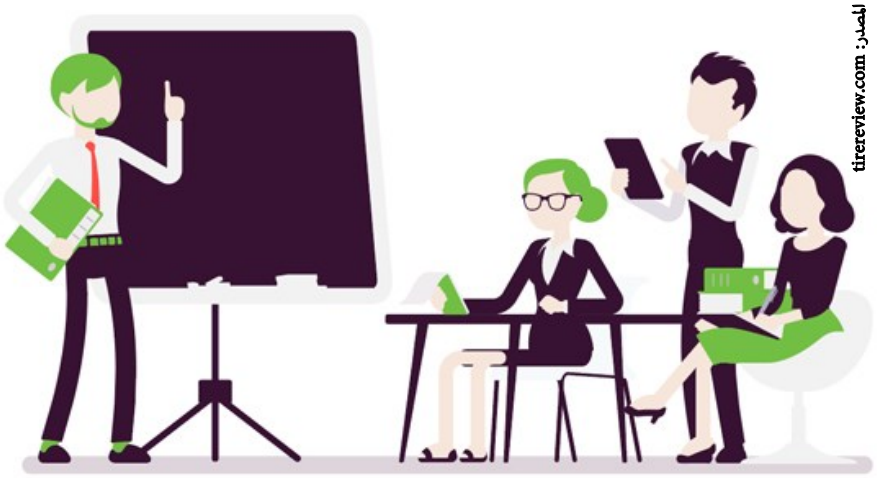
المصدر: tirereview.com

إلى جانب التكوين الأكاديمي، من المهمّ الالتحاق بدورات تدريبية من شأنها أن تكفل الكفاءة للالتحاق بسوق الشغل ذلك أن الشهادات الجامعية لا تضمن كل المهارات التي يحتاجها سوق الشغل. قد تتعدد الأسباب وقد يفسح هذا مجالا كبيرا للنقد ولكن الواقع يبقى كذلك. من الأفضل أن يحرص الفرد على التدرب ولو جزئيا خلال سنوات الدراسة وأن يتوّج تخرجه بمواصلة التدرب متى تعطّل الحصول على شغل وحتى بعد الحصول على وظيفة.

خلال سنوات الدراسة الجامعية، يمكن للطالب المشاركة في التظاهرات الجامعية خاصة في ما يتعلق بالتحضير لها أو المشاركة الفعالة فيها. يمكّن تعدد الجمعيات والأهداف التي تعمل عليها من توفير فرصة أخرى للتدرب. بطريقة ما، يقدم الطالب وقته مقابل التدرب لاكتساب بعض المهارات أو تطويرها. لا يهم إن كانت هذه التجارب في علاقة باختصاص الطالب فالغاية هي التمرّس والتعوّد على مناخ العمل.

خلال سنة التخرج أو بعدها يمكن الالتحاق ببرامج أخرى للتكوين تكون في علاقة مباشرة مع الاختصاص لضمان حد أقصى من البعد العملي مما يسهّل فيما بعد عملية الاندماج المهني. ويمكن لهذا الجهد أن يتواصل طوال الرحلة الوظيفية ذلك أن المعارف وطرق الإنجاز تتغير ومن الحكمة التمكن من كل ما يساعد الفرد على أداء واحبه.

هناك مراكز تكوين عامة وخاصة مثلا بالنسبة للغات، حيث يمكن الالتحاق بمعهد بورقيبة للغات الحية الذي يوفر فرصة التكوين في عدة لغات بتعريفة منخفضة كما يمكن الالتحاق بمؤسسات خاصة توفر شهادات دولية في الكفاءة اللغوية. هناك أيضا فرص للتدريب عن بعد. توفّر جامعة تونس الافتراضية مثلا دروسا تكوينية وشهادات جامعية لمنظوريها. وهناك منصات تجمع عدة جامعات تقدم دروس في كثير من الاختصاصات العلمية والأدبية. يبقى الحصول على شهادات التكوين خدمة ذات مقابل مادي ولكن الولوج إلى المحتوى يبقى مجانيا.

فتح انخراط المجتمع المدني والجمعيات في مجهودات النهوض بالمجتمع فرصة التكون في إطارها من خلال بعثات دولية ذات أهداف محددة. تبدو الغالبية متركزة على النشاطات السياسية والتنظمية ولكن هذا ما من شأنه أن يدرب الفرد على التخطيط والانجاز والعمل مع الموارد البشرية.

عندما يكون الفرد مترددا من الأفضل البدء في تدريبات يمكن أن تستعمل مهاراتها في مجال عدة ونخص بالذكر هنا اللغات والإدارة والتواصل.

بقلم: **خلود الخمّاسي**
مدرّسة لغة أنجليزية
ومؤسسة دار بركة للنشر الالكتروني
khouloud@tounesaf.org

»

لا يهم إن كانت هذه التجارب في علاقة باختصاص الطالب فالغاية هي التمرّس والتعوّد على مناخ العمل

«

جمعية تونس الفتاة

الهاتف: 29797625

البريد الالكتروني: contact@tounesaf.org

الموقع: www.tounesaf.org

فايسبوك: facebook.com/tounesalfatet

تويتر: twitter.com/tounesalfatet

انستغرام: @tounesaf